

لكي لا تموت القراءة

د/ شيخ محمد

أستاذ مشارك، كلية مدينة العلوم، بليكال، ملايرام، كيرلا

Email: muacollege@gmail.com

ومما يدهش محبو القراءة عما يعاني عالم النشر والتوزيع من الأزمات في شتى بلاد الخليج العربي بقلة الرواد إليها من القراء. وليست هذه الظاهرة محدودة في العالم العربي فحسب بل إن في العالم العجمي أيضا مشكلة في هذا المجال بعبوس الناس من القراءة والمطالعة حتى يجري في معظم البلدان مناقشات حول الموضوع "هل ماتت القراءة"، كما أن احتفال يوم الكتاب أو القراءة أيضا توحى إلي عدم اعتناء الناس بها حتى اضطروا أن يعينوا يوما عالميا لتشجيع الناس للقراءة. وأكثر ما يدعوا إلي الاستغراب أن الأمة التي حثها القرآن للقراءة بأول آيتها نقاعست عن مهمتها وصارت غثاء كغثاء السيل في غياب الكفاءة المعلوماتية.

قبل كل شيء علينا أن نسأل أنفسنا: لماذا أعرض الناس عن القراءة؟ ولماذا يرغبون عن المطالعة؟ وهل تعرقل الوسائل الإعلامية المرئية في سبيل القراءة؟ ولا يخفي علي أحد أنه قد زاد في الآونة الأخيرة مقدار أوراق التي تلتخ بمداد المطبعة؛ حتى يدل بعض الإحصائيات أن في كل عام يطبع من القرطاس ما يزيد لتغليف كرة الأرض أكثر من مرة. ولا شك أن معظم هذا القدر الهائل يرجع إلي طبع الجرائد والمجلات وسائر الدوريات. وما من بيت في العالم إلا وصل إليه أحد هذه الدوريات حتى صار الناس يستغلون أوقات فراغهم في مطالعتها أو في تقلب صفحاتها بما يجتذب أنظارهم إليها بمحتوياتها المتنوعة. ولو اطلنا إلي المكتبات الزاخرة بالكتب القيمة والمراجع الهامة نرى أن المؤلفات المرصوفة فيها تعاني من الوحدة والوحشة بعدم الرواد إليها، اللهم إلا أن الوافدين إلي المكاتب الفخمة يجلسون في قسم

الدوريات وينقلبون صفحات الجرائد والمجلات. وأما قسم الكتب والمراجع يشتاق إلى لمس أيدي الناس بها أو يتمنى أن يستشعر ولو بنظرة من القراء. وليس نادر بين المسلمين من يفتخر بما نال القدماء من الاعتزاز بما حملوا مصباح العلم إلي أوروبا حينما كانت في ظلمات الجهل في القرون الوسطى. ولم يستطيع العرب المسلمون أن يدرك هذا الإنجاز إلا بجهودهم ومثابرتهم في سبيل العلم والمعرفة. وتجدر هنا الإشارة إلي أن العلم عبادة في الإسلام أو أنه يكون أفضل من العبادة. عن أبي أمامة الباهلي، قال: ذكر لرسول الله (ص) رجلان أحدهما عابد والآخر عالم، فقال رسول الله (ص): "فضل العالم علي العابد كفضلي علي أدناكم" ثم قال رسول الله (ص): "إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون علي معلم الناس الخير". ولا يسع المجال هنا لإيراد الأحاديث الواردة في فضل العلم والعلماء. وكان القدماء يكتبون علي الكتاب ويعكفون علي القراءة في زمن لا يتوفر فيه التسهيلات الحديثة لمطبعة التصنيفات وتوصيلها إلي أيدي الناس؛ حتى كانوا يتحملون المشقات في سفرهم إلي مكان بعيد للاطلاع علي كتاب أو لاستفسار من عالم. وأما الأمة الحديثة العرب والمسلمين يمتلكون جميع مرافق الحياة حيث يمكن لهم أن يقرءوا دون أن يقوم من مجالسهم.

وأود أن أشير هنا إلي بعض الأسباب التي تعترض أمام القراءة. ومنها أن عدد الكتب والكتاب قد زاد في الأونة الأخيرة حتى صار كل من يخطو كاتباً أو مؤلفاً حيث لا ينال منها القارئ شيء يذكر من العلم والمعرفة. وأن الذي يطلع مثل هذه الكتب يشعرون الملل بما لا تروي هذه الكتب غليل العلم وصدى المعرفة للقراء. ناهيك عما لا يجد القارئ وقتاً كافياً للمطالعة بما يهرع عقارب الساعة بالنسبة زمن القديم حتى لا يجد الناس وقتاً لأمر حياتهم اليومية إن لم يعتني عليه أشد الاعتناء. ومعظم الفتيان والشبان ينصرفون من الكتب إلي الوسائل المرئية الجذابة التي يخفي ورائها خطراً لا

يكاد يغمض علينا اليوم. ومن اعتمد للقراءة علي الصفحات الإلكترونية بدلا من الأوراق التقليدية فهو ناج من اللوم لأن القلم والقرطاس تطورا طبقات عديدة حتى صارت إلي ما وصل إلينا اليوم من الازدهار. وأما الذي يغمس وجهه في الشاشة الصغيرة ليل نهار يصطاد منها ما يلطخ أخلاقه أكثر مما يزكي سلوكه. ولا شك أن معظم الشبان من مدمني الإنترنت يستخدمها لتشبيح غريزته الفاسدة أو لدغدغ عواطفه.

وأن فضل القراءة غير محصورة في بذل أوقات الفراغ، بل إنها تفيد كثيرا في تنشيط مداركه العقلية. وتدل الدراسات العلمية الحديثة علي أن القراءة تكسب للإنسان القدرة والكفاءة وقوة الإدراك كما وجد العلماء أن الذين يطالعون مستمرين يظهرون في أعمالهم أكثر كفاءة ونشاطا من الذين لا يقرءون. وقد تعرضت للمناقشة والبحث جل ما ذكر القرآن من العلوم والمواد حيث نتج منها عجائب باهرة عن إعجاز القرآن بيد أن القراءة لم تتسني لها الفرص لتعرض البحوث والدراسات. ألم يئن لنا أن نبذل جهودنا في سبيل تنقيب مناقب المطالعة وفوائد القراءة التي أمرنا الله سبحانه بأول آية من القرآن الكريم.